Dystopian narrative: Concept, Vision, and Stages of development

Bassam Mousa Quttous[(1)*]

(1) Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid 21110, Jordan.

Received: 2/10/2025
Accepted: 10/12/2025
Published: 9/3/2026

* ***Corresponding Author:***
Qutous@yahoo.com

Orcid:https://orcid.org/0000-0002-6629-1459

DOI:https://doi.org/10.59759/art.v5i1.1500

Abstract

This study seeks to examine the concept of the dystopian narrative in order to establish a clearer vision of its meaning, and subsequently to explore the historical framework of the global dystopian novel, along with its intellectual, social, and political backgrounds and the most prominent Arabic dystopian novels and stages of development. The researcher assumes that a set of political, social, and economic factors—such as poverty, class stratification, discrimination, the erosion of the middle classes, totalitarian regimes, moral and ethical decline, as well as the technological boom—are crucial elements that contributed to the emergence of this type of dystopian narrative, or the dystopian novel, which has functioned as a tool of provocation, stimulation, and perhaps enlightenment aimed at changing this reality, or at least destabilizing and changing it.

The reason why this topic was selected is based on the importance of dystopian narrative in revealing significant human issues, and its role in warning of the disintegration of the societal responsibility towards individuals and institutions, hoping that this study, along with other studies in dystopian narrative would add a scientific contribution for the library of Arabic narrative in general, and the dystopian narrative in specific. The research used the descriptive analytical approach since it describes the phenomenon and sheds light on its concept and the reasons for its emergence and vision for the future if possible.

A number of previous studies attracted the researcher's attention, whether those which were about the western dystopian narrative, or the ones which handled the Arabic dystopian narrative, and there were many. Some of them will be quoted or pointed to in the resources and references of this study.

The research springs from a central question and it is summarized in : what is the dystopian narrative, its concept and its future vision?

The study may also require a brief theoretical overview of narrative in general, in order to link the dystopian narrative to earlier forms of narration, thereby highlighting the qualitative difference between this relatively new form and the narratives that preceded those that were predominantly governed by realism. This necessitates, first, an exploration of the concept of narrative both linguistically and technically, along with its elements and components, before moving on to trace the stages of the development of dystopian narrative.

Keywords: Dystopian Narrative, Utopia, Dystopia, Vision, Stages of development, Science fiction literature.

السَّردُ الديستوبيُّ: المفهومُ والرؤيةُ ومراحلُ التطور

بسام موسى قطوس[1]

(1) أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك، إربد – الأردن.

ملخص

نتغيَّا في هذا البحث الوقوف على مفهوم السَّرد الديستوبيِّ بُغيةَ تشكيلِ رؤية حول مفهومه، والوقوف من ثم على الإطار التاريخي للرواية الديستوبية العالمية، وأهم خلفياتها المعرفية والاجتماعية والسياسية، وأبرز الروايات العربية الديستوبية، ومراحل تطورها. ويفترض الدارس أن مجموعة من العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية؛ كالفقر، والطبقية، والتمييز، وما تبعها من ذوبان للطبقات الوسطى فضلاً عن أنظمة الحكم الشمولية، والتدهور القيمي والأخلاقي، فضلاً عن الطفرة التقنية، هي عوامل مهمة أسهمت في بروز هذا النوع من السرد الديستوبي، أو الرواية الديستوبية التي شكلت أداة تحريض وتحفيز وربما تنوير لتغيير هذا الواقع، أو السعي، على أقل تقدير، لخلخلته وتغيره.

وسبب اختيار الموضوع تكمن في أهمية السرد الديستوبي في كشفه عن قضايا إنسانية مهمة، ودوره في التحذير من انفراط المسؤولية المجتمعية نحو الأفراد والمؤسسات. آملين أن يسهم هذا البحث، مع غيره من البحوث في السرد الديستوبي، في إضافة علمية لمكتبة الرواية العربية عمومًا والرواية الديستوبية خاصة.

ويتخذ البحث من المنهج الوصفي التحليلي رائدًا له؛ إذ يصف الظاهرة ويقف على مفهومها وأسباب بروزها ورؤيتها للمستقبل ما أمكن.

وقد وقف الباحث على عدد من الدراسات السابقة، سواء التي تناولت السرد الديستوبي الغربي، أم التي تناولت السرد الديستوبي العربي، وهي كثيرة، وسيكون بعضها ماثلًا فيما قبسنا عنهم أو أشرنا إليهم في مصادر هذه الدراسة ومراجعها.

وينطلق البحث من سؤالي مركزي يتلخَّص في ماهية السرد الديستوبي، ومفهومه، ورؤيته المستقبلية؟

وربما اقتضى البحث تقديم بسطة نظرية سريعة حول السرد بغية ربط السرد الديستوبي بما سبقه من السرود الأخرى حتى يتضح الفرق النوعي بين هذا السرد الجديد نسبياً والسرود السابقة عليه، وهي سرود كانت تسيطر عليها الواقعية. وهذا يقتضي الوقوف أولاً على مفهوم السرد لغةً واصطلاحًا، والتّعرف إلى عناصره ومكوّناته، ومن ثم الذهاب إلى مراحل تطور هذا السرد الديستوبي.

الكلمات المفتاحية: السرد الديستوبي، يوتوبيا، ديستوبيا، الرؤية، مراحل التطور، أدب الخيال العلمي.

السَّردُ الديستوبيُّ: المفهومُ والرؤيةُ ومراحلُ التطور

مفهومُ السَّردِ وعناصره ومكوناته

(1)

السّردُ لغةً، يعني تقدمة شيء يأتي متسقاً بعضه في إثر بعض متتابعاً. سرَدَ الحديث إذا تابعه، وفلان يَسْرُدُ الحديث كان جيّد السياق له". (ابن منظور، 1994، ص:130).

والسرد في تاج العروس جودةُ سياق الحديث ونحوُهُ، يسْرُدُه سرداً، إن تابعه، وفلان يسردُ الحديث سردًا، أو تسرَّده إذا كان جيّد السّياق، وسرد القرآن أي تابع قراءته. (الزبيدي، 1984، مادّة سَرَد).

أمّا مفهوم السّرد اصطلاحًا، فقد أشارت عددٌ من معاجم المصطلحات العربيّة إليّه، ووقفت عنده بوصفهِ مصطلحًا عامًّا يشتملُ على قصٍّ حدثٍ أو مجموعةٍ من الأحداث، أو خبرٍ أو مجموعةٍ من الأخبار سواء أكان ذلك حقيقةً أم خيالاً. (وهبة، 1979، ص:112).

كما يعني السرد:" العملية التي يقوم بها السارد أو الراوي، وينتج عنها النص القصصي المشتمل على اللفظ، أي (الخطاب القصصي) والحكاية أي الملفوظ القصصي. كما يعتبر "المصطلح الذي يشتمل على قص حدث، أو أحداث، أو خبر، أو أخبار سواء أكان ذلك من صميم الحقيقة أم من ابتكار الخيال". (المرزوقي وشاكر، (د.ت)، صص:77–78).

وثمة من يذهب إلى " أن (السرد) بمفهومه العام " ليس سوى الانطلاق من بداية نحو نهاية معينة، وما بين البداية والنهاية يتم فعل القص أو الحكي من جانب الراوي، ويتضمن السرد الوقائع والأحداث في تركيبته اللغوية، وتخضع هذه الوقائع والأحداث لنظام معين". (شرشار، 2009، ص:122).

أمَّا عِلمُ السّرد فهو علم يهتم بدراسة السرد (القصّ)، وكلّ ما له علاقة بالنُّظم التي تحكم إنتاجه وتلقّيه، وقد كانت بحوث الشكلانيين الروس باعثًا مهمًا للاهتمام بالسرد وأبنيته، كما عند تودوروف وجيرار جينيت الذي كان له إسهام كبير في حقل تطوير السرد، فضلًا عما طورته البنيويّة الشّكلانيّة كما تبلورت في دراسات كلود ليفي– ستراوس، وقد تنامى هذا الحقل في دراسات تزفيتان تودوروف، وألغردا جوليان غريماس، وجيرالد برنس. وبعدها تعرّض لتغيّراتٍ ناتجةٍ عن دخول تيّاراتٍ فكريّةٍ ونقديّةٍ مختلفةٍ متّجهةٍ نحو ما بعد البنيويّة كما ظهر عند الناقد الفرنسي رولان بارت. (انظر: البازعي، والرويلي، 2000، ص: 174).

وبغية الوقوف على مكونات السرد ينبغي الإشارة إلى تعريف آخر يتلخص في أنّه "الحكيُ القائم على دعامتين أساسيّتين هما: أن يحتوي على قصّةٍ ما تضمُّ أحداثًا بعينها، وأن يحدّد الطّريقة التي تُحكى بها تلك القصّة، ذلك أنّ القصّة الواحدة يُمكن أن تُحكى بطرقٍ مختلفةٍ، فيعتمدُ على السّرد في تمييز أنماط الحكي بشكلٍ أساسيّ، والقصّة المحكيّة تفترضُ وجود شخصٍ يحكي، وآخر يُحكى له، وهو ما يعني وجود تواصلٍ بين الطّرف الأوّل الذي يُدعى راويًا، والطّرف الثاني الذي يُدعى مرويًّا لهُ". (لِحمداني، 1991، ص:45).

ويعد السّردُ أو القصُّ فعلاً يقومُ به الرّاوي المبدع للقصّة، قد يكون حقيقيًّا أو خياليًّا ثمرتهُ الخطاب، ويشملُ مجمل الظّروف المكانيّة والزّمانيّة والواقعيّة والخياليّة التي تحيط به، وهو عمليّةُ إنتاجٍ يقوم الرّاوي من خلالها بدور المنتج، والمروي له بدور المستهلك، ويكون الخطاب هو السلعةِ المنتَجَة، ويكون السّرد تمثيلًا للحوادث؛ إذ يمثّل صيغةً من صيغ الخطاب وظيفتها وصف سير الحدث كفعلٍ في زمن. (انظر: زيتوني، 2002، صص:105-106).

وخلاصة القول: إنَّ السّرد يقومُ على عناصرَ أساسيّة تتألف من الرّاوي أو السّارد، والمروي له أو المسرود له، والمسرود أو المروي الذي يكون رسالة الرّاوي إلى المروي له. ولا يشترط في الراوي أو السارد أن يكون اسمًا متعيّنًا، فقد يتمكّن من التّواري خلف صوتٍ أو ضميرٍ يصوغ من خلاله المروي بأحداثه ووقائعه، وعُنِيَ عنايةً كبيرةً برؤيته تجاه العالم المتخيّل الذي ينتجه السّرد، وموقفه منه. (إبراهيم، 2005، ص:7-8)

أمّا ما يصدر عن الراوي فهو المروي، وينتظم حتّى يشكّل مجموعةً من الأحداث المقترنة بأشخاصٍ ضمن إطاري الزّمان والمكان، وتعدُّ الحكايةُ جوهر المروي، والمركز الذي تتفاعل كلّ العناصر حوله، وهو يقوم على مستويين مختلفين:

الأوّل: متوالية من الأحداث المرويّة بما فيها من ارتجاعاتٍ واستباقاتٍ وحذف، وهو ما اصطلح عليه الشّكلانيّون الرّوس باسم "المبنى"، والثّاني هو الاحتمال المنطقيّ لنظام الأحداث وقد عرف بالمتن، فالمبنى هو الانتظام الخطابيّ للأحداث في سياق البنية السّرديّة، أمّا المتنُ فيحيلُ إلى المادّة التي تشكّل جوهر الأحداث في سياقها التّاريخيّ. (إبراهيم، 2005، صص:8-9)

أما المروي له، فهو متلقي الحكاية أو المرسل إليه، وهو السّامع أو القارئ الموجّه له القص، فهو ليس مجرّد فرد تُقصّ عليه القصّة، وإنما على النّص أن يتضمّن ما يشير إلى أنه موجهٌ إلى جمهور أو قارئٍ معيّن. وليس ثمَّةَ سرد إلا ويستدعي ثلاثة: راويًا ومرويًّا، ومرويًّا له، والمروي له

شخصٌ يوجّه إليه الرّاوي خطابه، والاهتمام به يجعل البحث في البنية السّرديّة أكثر موضوعيّةً من ذي قبل. (إبراهيم، 2005، ص:9).

من هنا يتضح أن العمل السّرديّ لا ينشأ من فراغ، وإنّما هو ضرورةٌ يوجدها السّارد أو المؤلّف من أجل إنجاز اللغة في شريطٍ حيٍّ يعالج أحداثًا متخيّلةً أو واقعيّةً في زمانٍ ومكانٍ محدّدين، وهذا الإنجاز في النّص السردي يكون من حصة السّارد الذي قد يكون المؤلّف نفسه، أو صوتًا ثانيًا (راويا، والراوي غير الروائي) قدّمه الروائي وأنجزهُ في درجةٍ على مستوى معيّن من المستويات المختلفة للرؤية التي يمثّلها. ومن خلال السارد يتّجه الخطابُ نحو السّرد، وقد تتصف بعض أجزاء الخطاب بوظيفةٍ واحدةٍ هي نقل الذّاتيّة القائمة على الضّمائر المنفصلة وأسماء الإشارة وأزمنة الأفعال وأجزاء أخرى ذات صلة بالواقع الاجتماعي. (زيدان، 2004، صص:70-71).

أمّا السرد الديستوبي فهو نوع من السرد الخيالي و/أو المتخيَّل يصوِّر مجتمعًا فاسدًا تختل فيه العلاقات الاجتماعية والإنسانية والأخلاقية يتناقض مع فلسفة اليوتوبيا التي حلم بها أفلاطون، ويفتقر للإنسانية والرحمة، وتزداد فيه الفجوة بين طبقاته أو بين الأغنياء والفقراء المعدمين. كما ستوضحه هذه الدراسة.

(2)
الجذر اللغوي اللاتيني لمصطلح ديستوبيا

يأتلف الجذر اللغوي لكلمة DYSTOPIA من مقطعين: كلمة (Utopia) مضافًا إليها (مقطع/ بريفكس) هو Dys، وهو المقطع الذي إذا أضيف للكلمة السابقة يقلب معناها إلى الضد، وهذا التركيب دارج في اللغة اللاتينية، فنقول على سبيل المثال: Euphemism معناها التلطف، وحين نضيف إليها مقطع dys تصير Dysphemism، أي التوعُّر (عدم التلطف)، وهكذا في Dystopia.

ومصطلح الديستوبيا، حسب معجم أكسفورد الإنجليزي بمعنى (المكان الخبيث) وهو الوجه الآخر أو (النقيض) لليوتوبيا، الذي يعود إلى أفلاطون، ولكن من المؤكد أن الكاتب توماس مور Thomas More (1478-1535) هو أول من استخدم مصطلح "اليوتوبيا" في عام 1516، في كتاب له يحمل العنوان نفسه، في وصفه جزيرة خيالية في المحيط الأطلسي منتقدًا حالة إنجلترا في ذلك الزمن. (خيرة، ومصطفى، 2023، صص339-355).

وجاء انتقاد توماس مور لحالة إنجلترا؛ إذ كان المأمول في تلك الفترة التاريخية إنجاز الاصلاحات الاقتصادية والدينية التي دعا إليها بالطرق السلمية غير أن هذا الأمل تبدد بعد سنوات قليلة، واتضح أن الإصلاحات لا يمكن أن تتم إلا عن طريق العنف والصراعات المذهبية.. إلخ. (انظر: برنيري، 1999، ص:86).

وفي تعريب الكلمة يقال: الديستوبيا أو (المدينة الفاسدة) هي نقيض مصطلح اليوتوبيا أو (المدينة الفاضلة)؛ أي إنها تمثيل للحالة المستقبلية التي يتم من خلالها تصور المواقف السلبية للأنظمة السياسية والاجتماعية، ومدى تأثير التكنولوجيا على حياة البشر عمومًا.

وقد كان من ترجمات كلمة يوتوبيا الطوباوية التي تشير إلى معاني السعادة والحسنى، ويشير إلى مكان متخيَّل فاضل يمنح السعادة لمواطنيه، والطوباوية لها جذر عربي صريح أخذ من مفردة "طوبى" والطوبى تعني في المعجم الوسيط الغِبطة. (مجمع اللغة العربية،2011، ص:593).

وقد وردت كلمة طوبى في القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة الرعد واصفًا المؤمنين ومن يعملون الصالحات بقوله تعالى:(الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب).(سورة الرعد،آية 29).

السرد الديستوبي: المفهومُ والتاريخُ ومراحلُ التَّطور

(1)

يعد سرد الديستوبيا من الأنواع المندرجة تحت أدب الخيال العلمي، وقد تعزز وجوده بُعيد الحربين العالميتين: الأولى والثانية؛ إذ كانت ظروف الحربين العالميتين الأولى والثانية مؤثرة على النفسية البشرية، بعدما تكشفت آثار الدمار التي أودت بالقيم الأخلاقية، وقد تأثر الأدب الغربي بذلك؛ إذ غيرت الحرب تفكير الناس فقد غيرت تفكير الأدباء والفلاسفة تغييرا جذريا في الرؤى والانعطافات الفكرية والآيديولوجية، فبدأ الأدب بالعموم والرواية خاصة بطرح أسئلة فلسفية حول الموت والحياة والغاية والهدف والعدالة والظلم، لتعبر عن معاناة الأجيال التي عاينت تلك الحروب، ولتظهر ما يسمى بـ"سرديات الحروب" التي باتت عنصراً مهيمنا على النسق العام لمعظم الروايات التي برزت في الحرب العالمية الثانية. (فؤاد، 2024، صفحة الغلاف).

من هنا ليس مستغرباً أن يكون الغربُ أسبق من العرب في إنتاج هذا النوع من الأدب، ثم انتقل هذا إلى العرب بفعل التثاقف والظروف السياسة والاجتماعية في الأوطان العربية. وإذا كانت الرواية الكلاسيكية قد دأبت على تصوير الحياة البرجوازية أو (الطبقة الوسطى) إذ ارتبطت نشأة

الرواية بالطبقة الوسطى وبسياقاتها التاريخية والاجتماعية، فقد تطورت الرواية أو تحولت باتجاه تبني التعبير عن الواقع، فانتعشت الرواية الواقعية لتعبر في البداية عن الواقع السوداوي أولاً، وهذه سميت الواقعية التسجيلية، ثم عبرت عن واقع الكادحين ومعاناتهم، وإيمانهم بالتقدم البشري، إلى أن وصلت إلى الواقعية النقدية وهي التي تمثل الرؤية الاشتراكية.

ولما كانت الرواية هي من أكثر الفنون استيعابًا للقضايا الاجتماعية فقد سايرت التحولات في طروحاتها ومرورها بتحولات كثيرة إذ كانت تستجيب لكل مرحلة جديدة من مراحل التطور التاريخي والاجتماعي والسياسي، فضلاً عن استجابتها للأسئلة الوجودية والفلسفية. ونظراً للحروب العالمية والكوارث ومعطياتهما التي هزَّت الضمير الإنساني، بات الإنسان أكثر تشاؤمًا لما أحسه من دموية وخوف على مستقبله ومستقبل الأجيال القادمة، فبدأ يصور جانبًا من هذا العبث الإنساني بمصير الإنسان لينتج أدبًا مضادًا للتفاؤل ومغرقًا في رؤية تشاؤمية لمستقبل البشرية.

ومع بعض الكتاب الغربيين بدأ التنازل عن الواقعية، ولم يعد الواقع مطلب الرواية المعاصرة، بسبب ماديتها وتوحشها، فأخذت الرواية منذ الربع الأول من القرن العشرين تبحث عن التحرر من ضوابط الواقعية، فاستعاضت عنها بموضوعات لاعقلانية كما فعل جيمس جويس، وبروست، كافكا في قصة "التحوّل"، فبرز ما يسمى بالسرد "اللاواقعي". (انظر: هناوي، 2024، https://www.alarab.co.uk/%D8%).

(2)

لقد تأخرت الرواية الديستوبية في الظهور في الوطن العربي نسبيًّا، لأسباب اجتماعية–فنية، لا سيَّما مع المراحل التاريخية التي ارتفع فيها الصوت القومي، وسادت فيها التيارات السياسية اليسارية التي انطلقت من رؤية تقدمية متفائلة للأدب، فسادت النماذج الروائية الجمالية البطولية والثورية القادرة على تغيير الواقع، والتي ستنتصر رغم قسوة ظروفها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. ولكن الانكسارات والهزائم التي أصابت البنية الاجتماعية الثقافية العربية غيرت في طبيعة التعاطي مع الفن، وانزاحت في البنية الجمالية للرواية؛ إذ لم يعد شاغلها بث التفاؤل، بقدر ما انشغل الروائيون العرب بصياغة فنية جديدة، تشاؤمية، وصادمة، وقاسية، وأكثر قدرة على تعرية الواقع الذي يزداد فسادًا وسوداوية، فكانت رواية الديستوبيا التي تقدم تمثيلًا جماليا للواقع يتفوق على فساده وسوداويته.

وقد ألهبت الثورات العربية التي أطلق عليها ثورات الربيع العربي أقلام بعض الروائيين نتيجة انهزام الثورات العربية في كلٍّ من مصر وليبيا وسورية وتونس بسبب عدم تحقيق تلك الثورات أهدافَها التحررية، أو بسبب سرقةِ تلك الثورات التي كانت تروم التخلص من الأنظمة الاستبدادية؛ فظهرت مجموعة من النصوص الروائية العربية التي قدَّمت نماذج مختلفة للمدينة الفاسدة، وهي تمثل، على الرغم من تقاربها في الطرح، الخطاباتِ الشجاعةَ التي تقول الحقيقة كاملةً مهما تكن موجعة. وتعني الشجاعة هنا اكتشاف ظلمة الحاضر وإثباتها بإبطال الأضواء التي تشعُّ من العصر، أي عدم تضليل الآخرين وتعليلهم بيوتوبيا الثورة. (انظر: سينتيا، 2017، ص:11، والعجيلي، 2024، ص:56).

كما ازدادت شعبية الروايات الديستوبية والإقبال عليها بشكل غير مسبوق بين الفتيان مع مطلع القرن الحادي والعشرين، وحازت نجاحاً تجارياً هائلاً، تجاوز حتى مبيعات سلسلة أفلام "هاري بوتر"، لمؤلفتها الكاتبة البريطانية جوان رولينغ، Joanne Rowling. وتتصف الروايات الديستوبية بخصائص مشتركة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر أن الرواية الديستوبية تشتمل على قصة ظلم، أو تعسف، أو اعتداء على حقوق الآخرين، وهذه القصة غالبًا ما تشكّل عمودها الفقري، وعادة ما تستمد القصّة حُبكتَها ومقوماتِها من مجتمع منقسم، ولا يهمُّ ما إذا كان الأمر يتعلّق بأحياء أو مناطق أو دول، فإن السيطرة على الوضع تكون دائماً في قبضة شخص واحد يهيمن على البلاد والعباد من خلال تمكين بذور الخوف في نفوسهم.(انظر:العُجَيْلي، 2024،صص:13-14).

ولكن هل من علاقة بين الأدب الديستوبي والأدب العجائبي؟

ذهب بعض الباحثين إلى أن رواية الديستوبيا، ونخالفهم الر أي في ذلك، حتى وإن وجدت نقاط تماس أو التقاء في بعض المظاهر، تنتمي إلى أدب اللامعقول الذي تعود جذوره إلى القرن التاسع عشر، وتربط بفلسفة العبث التي تجلت في كتابات ألبير كامو، وصمويل بكيت، وفرانس كافكا، بُعيْد الحربين العالميتين الأولى والثانية، وهو أدب ذو نزعة رومانسية، تتقلب على الخضوع لقوانين العقل والأعراف المألوفة. (انظر: الشاروني، 1969، ص:3، والعجيلي،2024، ص:37).

أمَّا الأدب الديستوبي فغايته مختلفة تمامًا؛ إذ هو يرنو إلى مستقبل يخلو من الظلم الاجتماعي، والتطرف، وغرضه تحذيريٌّ من مستقبل مظلم تسوده الفوضى والطبقية وتزول منه الطبقة الوسطى تمامًا.

ونعتقد أن الرواية الديستوبية لا تمثل جنسًا أدبيًا ذا هوية أجناسية؛ لأنه يُشترط في كل جنس، على وفق جيرار جينيت، أن يشرف بطريقة تراتبية على عدد من الأجناس التجريبية وأن يحتويها؛ فالأجناس الأدبية تشمل معايير تخضع للجانب الموضوعي، وليس للجانب اللساني أو

الشكلي، فالرواية جنس يتضمن أنواعًا، من جهة الموضوع، مثل رواية المغامرات أو الرواية البطولية أو البوليسية وغيرها، ويجب ألا نحد هذه الأنواع بحدود، فمن الممكن توسعها واستحداثها... وهكذا شأن الروايات في تجدد واستحداث، "وستوجد أنواع أخرى في المستقبل لا نتصورها نحن اليوم على الإطلاق".(انظر: جينيت، 1985، صص:75-76).

(3)

ولما كان الأدبُ الديستوبيُّ يندرج تحت "مظلة أدب الخيال العلمي"، ويصف مجتمعًا سلبيًا مظلمًا يمور بالفساد والظلم والقمع معبرًا عن الواقع السياسي والاجتماعي، وأحيانًا السيطرة الحكومية والتضييق على الحريات الفردية، ويقوم على عناصر خيالية، وكان الأدب العجائبي نوعًا من الأدب الخيالي يصف عالماً واقعياً معقداً، ويضيف إليه عناصر خيالية وغريبة بشكل غير منطقي وغير متوقع وقد يلجأ الروائيون للعجائبية لإظهار أن العلاقة بين الواقع والخيال قد لا تكون بعيدة، بأسلوب شاعري مفارق، ويضم عناصر من الواقع والتاريخ والخيال – لذا يمكن اعتبار الديستوبيا والعجائبية ينهلان من منبع واحد يقع بين الواقع والخيال، فالعجائبية أيضًا تحفل بالمفارقات والمتناقضات في الحياة، وتضم عناصر من الواقع والتاريخ والخيال، وبصفة عامة، تعد الديستوبيا والعجائبية لونين من السرد الخيالي الذي يفتح آفاقًا، للاستكشاف والتعبير عن مختلف الأفكار والمفاهيم بطريقة خيالية وغير مألوفة، وتعكس العالم بطريقة مختلفة ومبتكرة. (خيرة، ومصطفى، 2023، ص:345).

وللرواية الديستوبية آلياتُها الدقيقة، وتستند إلى جرعة مضاعفة من الخيال وابتداع أبطال أشدّاء ذوي سمات محددة. أما خصوصية هذه الروايات فتكمن على وجه التحديد في استخدام مستقبل بعيد وأحداث خيالية، للتنديد بالآفات والكوارث التي تجتاحُ مجتمعاتِنا المعاصرة، لكنها في الآن ذاته، تتجاهلُ تماماً أو لا تُحقّق في جذورها، وعلى رأسها الحقبة الاستعمارية وما نتج عنها من هيمنة وتقسيم مجحف لموارد الأرض ولمصائر سكانها أيضاً. (بتصرف عن عبابنة، 2023، ص:10).

الديستوبيا مصطلحاً ومفهوماً

أُطلق على رواية الديستوبيا أحياناً رواية مناهضة اليوتوبيا أو anti-utopia، وهي التي تسعى إلى ابتكار عوالم افتراضية مشتقة من الواقع وموازية له. (انظر: بن الشيخ، 2018، ص:65).

وإذا كانت اليوتوبيا تميل إلى تضخيم ما هو مفيد بالفعل في مجتمعاتنا، كالمبادئ الأخلاقية السامية والعلم والثقافة والفنون، أي باختصار مشروع مدينة مثالية تحكمها مبادئ فلسفية كما رسم معالمها أفلاطون في عمله الفلسفي الضخم "الجمهورية"، الذي كتبه بين 380 و370 قبل الميلاد تقريباً، فإن الديستوبيا تبقى في جدال مفتوح مع اتجاهات الحاضر السيئة عبر رؤى قاتمة ومؤلمة وخانقة، كالاستبداد والأوبئة والحروب. وأدب الديستوبيا هو أدب خيالي يتحدث عن مجتمع فاسد أو مخيف، تسوده الفوضى ويحكمه الشر المطلق، من أبرز معالمه القتل والخراب والقمع والفقر والمرض، وفي الوقت نفسه، يسعى أدب الديستوبيا إلى تنبيهنا وفتح آفاق المتلقين إلى المخاطر التي تنتظرنا في المستقبل القريب. وعلى الرغم من أن الرواية الديستوبية لها نصيب كبير من الخيال و/ أو "التخييل"؛ لأنها تتخيل عالمًا مستقبليا مليئا بالظلم والفساد، إلا أن ما يحدث في الواقع أصبح لم يعد مجرد خيال، بل حقيقة واقعة، تكشف عن نفسها بين الحين والآخر في هذه المنطقة أو تلك، تحت أكثر من شكل ومسمى، خصوصاً في تلك الدول التي لا تولي الثقافة أي اهتمام، وتتجه نحو الكسب المادي والجشع الرأسمالي على حساب القيم الأخلاقية.

وإذا كان فلاسفة اليوتوبيا قد انطلقوا من معاينة الظلم الواقع في مجتمعاتهم، فحلموا بمدينة فاضلة تحقق السعادة لمواطنيها، فإن الأدباء والروائيين الغربيين والعرب لاحظوا هم أيضًا ما يعتور مجتمعاتهم من ظلم وتفكك وانحلال، وأن المكان المثالي ليس موجودًا في هذه الدنيا، التي يحلُّ بها صنوف التمييز والفقر والطبقية، فاجترحوا مصطلحًا نقيضًا لليوتوبيا أو للطوباوية أسموه ديستوبيا أي (المدينة غير الفاضلة أو الفاسدة). (انظر: العُجَيْلي، ص34).

ومن هنا يتضح أنه مثلما كانت اليوتوبيا مفهومًا فلسفيًا أفلاطونيًا يعني المكان الجيد، فإن الديستوبيا مفهوم فلسفي عكس مفهوم اليوتوبيا بمعنى المكان السيِّئ الذي ينتشر فيه الفقر والظلم والمرض؛ إذ يُستخدم المصطلحُ على وجه خاص بغية الإشارة إلى مجتمع وهمي موجود غالباً في بيئة مستقبلية سيئة، وتكون اتجاهاته وغاياته متشائمة ورهيبة. (انظر: بن الشيخ، 2018، ص:65).

وقد تطور هذا النوع الأدبي الذي انتشر قبل أكثر من مئة عام، في بيئة افتراضية لمُستقْبِلٍ غير منظور مع ديناميكيات اجتماعية وسياسية تصل حدّ التطرف، كما في كلاسيكيات الأدب الإنكليزي، مثل "سيد العالم" لروبرت هيو بنسون (1907)، ورواية"1984" لجورج أورويل، ورواية "أمير الذباب" لوليم غولدينغ (1954).

(انظر: وقاص، 2023 https://www.majalla.com/node/295496/).

خصائص الرواية الديستوبية

(1)

يرى عبد الحميد الحسامي أن (رواية الديستوبيا) لا تمثل جنسًا أدبيًا ذا هوية أجناسية محددة المعالم، لكنه يمثل نوعًا روائيًا، له خصائصه التي تتشكل من التصرُّف في بنية المتخيل الروائي .وأن المنجز الروائي الديستوبي –بكافة أشكاله– كان استجابة لمؤثرات عميقة في الفكر الإنساني، وامتدادًا لتجليات عديدة مهدت له؛ على مستوى الخطابات الدينية، والأدبية، والفلسفية، وأدب الخيال العلمي، وتحولات المجتمع الرقمي والفنون البصرية، فضلًا عن تحولات الواقع، وكلُّها أسهمت في نشأة الهاجس الديستوبي في متخيل الرواية الغربية؛ سواء اشتغلت على المستقبل المرعب بسبب الاستبداد السياسي، أم اشتغلت على رعب التقنية، أو الأوبئة، أو غير ذلك.(انظر: الزيدي، 2025).

لعل من أبرز خصائص الرواية الديستوبية فقدان الفردانية (الحرية الشخصية)، والفقر، واليأس، وغالبًا ما تدور أحداث الرواية الديستوبية حول سلطة مركزية تسيطر على السياسة والاقتصاد، أو سلطة اجتماعية تهمِّش الأدنى منها، كما في يوتوبيا لأحمد خالد توفيق، وقد تحتوي على حدث يفتعله النظام أو الدولة، وعادة ما يُختلق بهدف الحفاظ على تماسك السلطة والإيحاء بأن كلَّ شيء يسيرُ على ما يرام، بغيةَ السيطرة على المجتمعات الهشَّة، والعمل على تقويض أية محاولة للتطور الاجتماعي والاقتصادي. وثمة عنصرٌ آخرُ مهمٌّ في رواية "الديستوبيا" هو الدور الذي يلعبه العِلْم. هذا ضروري ليس فقط لنقل فكرة الإسقاط في عالم مستقبلي بشكل أفضل، بل لكونه السلاح الأقوى تأثيرًا بيد السلطة.

ومن السِّمات المميزة للأدب الديستوبي، أن القارئ يدرك، وهو منغمسٌ في عالم كارثيٍّ مروّع، أن هناك عيوباً ومشكلاتٍ رئيسةً يريدُ المؤلفُ كشفَها والتنديدَ بها، وصفحة بعد صفحة، يوقن أن ما يقرؤه ليس مُخترعًا تمامًا وليس بعيداً عما يعيشه كلَّ يوم، وهو ما يخلق في نفسه مخاوف أكثر من الآمال. والأدب الديستوبي هو غير أدب الواقع المرير المتمثل في أمثلة من أدب السجون، وثقافة العنف، والمواجهة بين المثقفين والسلطات في العالم العربي. وقد أورد الدكتور يحيى عبابنة إضاءة مهمة عن العناصر التي تجعل من السرد عملاً ديستوبيا ومنها الخرابُ والخيالُ العلميُّ. كما أن الأعمال الديستوبية لا تتعلق بالتجريب، وإنما برؤية موضوعية وفلسفية لمستقبل العالم والبشر، بمعنى أن المكوِّنَ الرؤيويَّ ذو طابع ديستوبي. (عبابنة، 2023، ص:10، ووقاص، مرجع سابق).

وعلى الرغم من أن الرواية الديستوبية تتنبأ دائمًا في المستقبل إلا أنها أيضاً تدرس الواقع وتستشف منه رؤى المستقبل، وتعبِّر عن مآلاته، حتى إن بعض الكتاب يرون أنها تدخل ضمن الرواية الواقعية الجديدة، حين يصفها بقوله:" إن هذا النوع (يقصد الرواية الديستوبية) هو أكثر ما يعبِّر عن واقعنا رغم أن أحداثه دائمًا تقع في المستقبل".
(انظر: وقاص، 2023، https://www.majalla.com/node/295496).

وإذ رأى بعض الباحثين أن الرواية الديستوبية تمثل واقعية جديدة، فقد رأى آخرون أن بعض روايات الديستوبيا تنتمي إلى الواقعية السوداء، إذ تعكس المخاوف من ثقافة معاصرة سائدة، حين تستلهم بشكل متزايد من أسوأ تصورات أنفسنا والواقع الحالي، مما يجعل من الصعب في كثير من الأحيان التمييز بين الترفيه والواقع. (انظر: برجكاني، 2018، ص:135).

(2)

ويبدو أن هذا الرعب وتلك السوداوية، يشكِّلان في نفوس اليافعين حافزًا، ليس للقراءة والمتابعة، بل للعمل من أجل السلام والعدالة، فقد باتوا يدركون، بفضل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، أنْ ليس كلُّ ما يلمعُ ذهباً، وأنه غالباً ما تستغلهم شركات التسويق والشركات المتعددة الجنسيات التي تجعل الصور النمطية السلوكية لديهم مصدرًا لأرباح خيالية. إن نجاح هذا النوع الأدبي في جذب ملايين الأشخاص وتوحيدهم تحت رسالة واحدة، يعني أن القوة الحقيقية للديستوبيا ربما تكمن أيضًا في قدرة الأجيال الجديدة على استقراء ما هو خيالي في هذه الروايات وتكييفه مع واقعهم، حتى يكونوا قادرين على تغيير نمط السلوك العام، وأنه لا يزال من الممكن القيام بعمل جدّي وليس افتراضيًا فحسب.

وغالباً ما تنشأ الرواية الديستوبية في ظلِّ حُكمٍ مستبد، أو أحكام قمعية، أو توترات اجتماعية ناشئة عن وجود فوارق طبقية بين الأغنياء غنى فاحشًا، والفقراء فقرًا مدقعًا، فضلًا عن غياب الحريات أو تآكلها. ومن هنا تحمل الرواية الديستوبية في أعماقها نقدًا للخلل السياسيي أو الاجتماعي، أو الاقتصادي، ودعوة مبطنة للتغيير، أو الإصلاح، وتحقيق العدالة الاجتماعية.

لهذا يقول ميشيل فوكو:"لم يبتكر روائيو الديستوبيا رعبًا جديدًا، لكنهم ابتكروا نظامً جديدًا للرعب، ووضعوا خرائط حديثة للمدينة الفاسدة، إذ كان لا بدَّ لهم من تجاوز جماليات العصور البائدة بحرسها الثقافيين القدماء، ليؤسسوا ميتافيزيقيا جديدة". (فوكو، 1990، ص:73).

وقد يبدو هذا الأمر دعوة ملحة لمدينة فاضلة أخرى، أسوة بدعوة أفلاطون، ولكن بطريقة

معاكسة، وبخاصَّة أن معظم الروايات الديستوبية تقدم نفسها في البداية على أنها فاضلة، لتتحول مع توالي فصولها إلى رعب مطبق أو (مدينة فاسدة) كما في رواية أحمد خالد توفيق الموسومة بـ "يوتوبيا"؛ إذ تعلن في عنونتها اسم "يوتوبيا" على سبيل المفارقة، وحين يذهب القارئ لاستكشافها يجدها تمثِّل ديستوبيا تمتلئ بالرعب والظلم والفساد. (توفيق، يوتوبيا، 2008).

تاريخ السرد الديستوبي: الفَهمُ والمَفْهَمة

(1)

لا بدَّ من معرفة تاريخ اليوتوبيا، وإن يكن متعذراً تحديد تاريخ دقيق وجامع مانع لأية حركة أدبية أو نقدية؛ لأن لكل حركة إرهاصاتها أو مقدماتها التي تسبق ظهورها قبل أن تستقر، قبل الذهاب لمعرفة تاريخ الديستوبيا؛ آيةُ ذلك أن اليوتوبيا أسبق في الظهور والتكريس، وعليه يجب الوقوف على المصطلح ومَفْهَمَته.

تعود جذور مصطلح اليوتوبيا Utopia، الأولى، كما هو معروف، إلى أفلاطون Platon (427–347ق.م) في "جمهوريته الفاضلة"؛ إذ حلم بعالم مثالي طوباوي يزخر بالسعادة والغبطة، ويحقق المُثل العليا في الحكم والسياسة، وقد صاغ أفلاطون جمهوريته الفاضلة مستبعدًا منها الشعراء لأنهم وَفْقَ نظره يفسدون النشء من جهة تربوية، وأقصاهم بما يتعدى التهميش إلى الإعدام مَجازاً؛ لأنهم يركِّزون على العاطفة أكثر من البرهان كما يفعل الفلسفة. (انظر: قطوس، 2022، صص:35–36)

وفي القرن السادس عشر الميلادي صاغ العالم الإنكليزي توماس مور مصطلح "يوتوبيا" في كتابه "ليبيللوس (Libellus) "عام 1516 وهو مصطلح يصف به المجتمع المثالي الذي يسوده الانسجام والمساواة، حيث تجري وتتطور أحداث الرواية الطوباوية، وهي تقريبًا الاختبار الحقيقي لما يجب أن يكون عليه الواقع المعاصر، أي كنوع من الهروب من الحاضر واللجوء إلى العالم الذي يرغب فيه المرء، ولكن موضوعيا هو بعيد المنال. وقد صاغ كلمة يوتوبيا في نطقها اليوناني، وقد اشتقها من الكلمتين اليونانيتين Ou بمعنى "لا" وTopos بمعنى "مكان"، وتعني في مجموعها "ليس في مكان" ولكنه أسقط حرف O وكتب الكلمة باللاتينية utopia ووضعها عنوانًا لكتابه هو، لتغدو أشهر يوتوبيا في العصر الحديث. وقد استخدم المصطلح "يوتوبيا" في كل اللغات الأوروبية،

وفي الترجمات العربية أيضًا ليعني نموذجًا لمجتمع خيالي مثالي يتحقق فيه الكمال ويتخلَّص من الشرور التي تعاني منها البشرية. (انظر: برنيري، 1999، صص:7-8).

وهذا لا يتعارض مع أن أول من تصور عالم "اليوتوبيا" هو أفلاطون بدءًا في ما سُمِّي بـ "المدينة الفاضلة"، وهي النموذج الأول لكل اليوتيوبيات التي يلعب الخيال الدور الأكبر في اجتراحها، وانتهاء بروايات الخيال العلمي.

وقد دأب الفلاسفة، منذ أفلاطون، على رسم صورة طوباوية يوتوبية للمستقبل، يتشكل في هيئة "مدينة فاضلة" تتحقق فيها السعادة الأبدية، وتلبِّي نزعة الخلود لدى الإنسان. كما اتجه الأدباء – شعراءَ وكتّابًا– لرسم ملامح مدن فاضلة سعيدة، تعوض الإنسان عن خسائره المتكررة في الحياة، وربما عن خروجه من جنة عدن في القصة القرآنية المعروفة. أما شيوع مصطلح "يوتوبيا" الذي يناقض مصطلح "ديستوبيا" فقد بدأ شيوع هذا المصطلح للدلالة على (نوع أدبي خاص)، منذ 1516، وهو تاريخ إطلاق توماس مور مصطلح "يوتوبيا"، على الرغم من أن الإرهاصات الفكرية لمفهوم اليوتوبيا كانت أسبق من ذلك؛ لأن الفكر الإنساني الطوباوي الذي يحلم بعالم مليء بالسعادة متجذر في الفكر البشري سواء في جمهورية أفلاطون أم في مدينة الفارابي الفاضلة. وهذا جزء من الفكر الخيالي الذي لا يرتبط بواقع معيش ويتجاهل طبائع الأشياء والشروط الواقعية اللازمة لتحقيق تلك التصورات بدون اعتبارات واقعية أو مفترضة. (ينظر: زيادة وآخرون، 1986، ص:567).

لكن الأمر المثير للتساؤل، وفقًا للباحث اليمني الحسامي، هو أن ينشغل المنجز الجمالي – بشتى صنوفه– برسم ملامح (المدينة الفاسدة) –وليس المدينة الفاضلة– والعمل على تخييل مستقبلٍ مروعٍ تعيشه الإنسانية؛ مستقبلٍ تسوده نزعة التوحش، وتستحوذُ عليه سلطةُ الأقوياء، ويغدو الإنسان فيه ضحية أخيه الإنسان؛ أو ضحية ما يقوم هو بإنجازه. (انظر: الحسامي، 2023، وأبو طالب، 2024؛ http://ibraheemabotalib.blogspot.com)

وقد تتبع الباحث اليمني الحسامي المسار التاريخي لظهور الديستوبيا ليكشف عن التعاقب الزمني لمسار الظاهرة الديستوبية تاريخيًا، ومدى تطورها منذ بواكيرها، فوجد أن رواية "العقب الحديدية" لجاك لندن، التي أُلِّفَت سنة 1907 هي البداية التاريخية، وحتى استوت على سوقها في نموذجها الأكثر نضجًا واكتمالًا لدى جورج أورويل في روايته الشهيرة "1984" التي ألّفها سنة 1948.

وفي كتابه "نهاية اليوتوبيا" يبشِّر راسل جاكوبي بنهايتين: نهاية الأيديولوجيا، بعد وقوع الفكر الشيوعي والإشتراكي في مآزق كثيرة، وخسارة الشيوعية معركة الأفكار مع الغرب، وإحالة اليوتوبيا

إلى التقاعد، مستعرضًا عددًا غير قليل من الكتاب والمبدعين الذين عبَّروا عن " نهاية الأيديولوجيا" مثل الروائي الفرنسي ألبير كامو Albert Camus الذي انتقد جهود الاشتراكيين الفرنسيين الحديثة لعقد مصالحة بين الماركسية والأخلاق. كما استعرض استخدام ستيوارت هيوز Stuart Hughes الأستاذ في جامعة هارفارد مصطلح "نهاية الأيديولوجيا" في بحث له عن المثقفين الأوروبيين، معبِّرًا عن أن اليسار أصبح يفتقد الإقناع والأفكار. ويؤكد جاكوب أنه كان ثمة إجماع تقريبي في العالم الغربي على انتهاء عصر الأيديولوجيا وتفضيل دولة الرفاه والسلطة اللامركزية ونظام يقوم على الاقتصاد المختلط والتعددية السياسية. (جاكوبي، 2001، ص11، ص15).

(2)

وفي ظل دولة الرفاه والاقتصاد المختلط وما أشاعته الرأسمالية من طبقية مقيتة، وجَرْي وراء الأشياء أدَّى إلى بروز ما سمِّي بظاهرة (التشيُّؤ) التي تمثل اغتراب الإنسان عن نفسه، وتقديسه للأشياء، بدأ السرد الديستوبي في الظهور مع روايات عدد من الروائيين الغربيين. (انظر: قطوس، 2022، ص:16).

ويُعتَقَدُ أن أول من ابتدع مصطلح "ديستوبيا" Dystopia، هو الفيلسوف الإنكليزي جون ستيوارت ميل، عام 1868، ويعني "المكان السيِّئ"؛ إذ وصف خصومه السياسيين في البرلمان بالفساد، منتقدًا سياسة الحكومة الإيرلندية المتعلقة بالاراضي، متهماً إياها بالفساد. (انظر: سارجنت، 2016، ص:32).

وفي تتبعنا لمسار الرواية الديستوبية تاريخيًا وجدنا أكثر من رواية سبقت رواية جورج أورويل، من أبرزها رواية: "نحن الآخرون" للروائي الروسي يفغيني زامياتين، Yevgeny Zamyatin التي أُلّفت سنة 1920، وترجمت للإنكليزية سنة 1924، وتعد اليوتوبيا المضادة لزامياتين رؤية مستقبلية فهو يصف المجتمع الذي يفترض وجوده بعد مرور ألف عام على إقامة الدولة الوحيدة التي تحكم العالم بأسره، وعشية الاستعداد لغزو الكون كله بفضل آلة مرعبة يمكن أن تطلق إلى الكواكب الأخرى. ثم تأتي رواية "عالم طريف شجاع "، لأولدس هكسلي Aldous Huxley التي كتبها سنة 1932، وهي تشبه رواية زامياتين من نواح عديدة، بسخريتها من المجتمع الأمريكي، مرورًا برواية "مزرعة الحيوان" لجورج أورويل، التي ألّفها سنة 1945، وبعدها جاءت رواية أرويل (1984)

التي صدرت عام 1948. (انظر: برنيري،1999، صص:384-385).

ولعل هذه العيّنة من الروايات تكون كفيلة بأن تقدم ظاهرة (الرواية الديستوبية) للمشهد النقدي، وتكشف عن أهم تحولاتها التي مرت بها، وأبرز معالمها: الرؤيوية، والجمالية، وهي استشراف من نوع ما، من قبل المبدعين لواقعهم المؤلم، وكيفية توقعهم لمستقبل يتراءى لهم عبر حاستهم الإبداعية. (انظر: الحسامي، 2024).

ونعتقد أن التاريخ الذي حدده الحسامي للرواية الديستوبية وأعاده إلى رواية (العقب الحديدية) The Iron Heel لمؤلفها جاك لندن Jack London التي نشرت للمرة الأولى عام 1908 في الولايات المتحدة الأمريكية، هو تاريخ مهم للريادة في مجال أدب الخيال العلمي؛ إذ يتنبأ الكاتب بالمتغيرات المستقبلية اجتماعيًا وسياسيًا، ولكنه لم يولِ عناية للتغيرات التكنولوجية، وبهذا تظل فكرة السبق التاريخي صحيحة ومهمة، ولكن النضوج الفني كان من حظ من أتى بعده، وهذا أمر طبيعي في كل الحركات والظواهر الأدبية؛ إذ ترتبط الريادة بمسألتين: تاريخية تشير إلى السبق الزَّمني، وأخرى فنية وجمالية تتعلق بالتأسيس لظاهرة فنية أو جمالية جديدة تبرز لغة جديدة ورؤية جديدة يطورها اللاحقون ويستحق السابق أن يعدَّ معها رائدًا. (انظر: عبيد الله، 2012؛ / https://www.addustour.com/articles/447241)

وفي القرن التاسع عشر صدرت رواية (برتقالة بقلب الساعة) A clock Orange لأنطوني برجسAnthony Burgess؛ إذ صدرت 1962، وقد اتخذت من القسوة والعنف المتبادل حول الشباب وانتشار الجريمة والقضايا الأخلاقية والاجتماعية موضوعًا لها وتجري أحداثها في مستقبل ليس بعيدًا. كما صدرت رواية هل يحلم الآليون بالخراف الكهربائية (Do Android Dream of Electric Sheep?) ، للكاتب فيليب ديك Philip Dick1968، يصور الكاتب هجرة البشر من كوكب الأرض في مستقبل قريب مما يدفع إلى إنتاج آليين يقومون بأداء أعمال البشر، وهذا يؤدي إلى أخطار مريعة تحيط بحياة البشر. ومن الروايات الغربية رواية (فهرنهايت 451) للأمريكي راي برادبوري Ray Bradbury التي قامت على تخيُّل إحراق الوعي والتراث الإنساني.

ولعل مما يحسن التنبيه عليه في هذا السياق أن ثمة رواية أرديَّة بعنوان "وبائي بيجان" ومعناها "انتشار المرض" كتبها مؤلفها (أسرار أحمد) المُكَنَّى بـ "ابن صفي" عام 1958، أثناء فترة الحكم العسكري في باكستان التي امَّازت بالفوضى وفقدان الأمل، والخوف من المستقبل. ونتيجة لهذه البيئة المقلقة التي عاشها ابن صفي أقدم على كتابة روايته "وبائي ريجان" متصوراً مدينة ديستوبية يسودها الظلم والفساد الأخلاقي بسبب استبداد السياسات الوطنية والدولية. وتدور أحداثها حول الأسلحة

البيولوجية التي تعتمد على الفيروسات والجراثيم لقتل البشر من قبل القوى الدولية المستبدة منتهكة كل قوانين الإنسانية، وهذه رؤية استباقية من هذا الروائي قبل حدوث كورونا بأكثر من نصف قرن[1]. (حندقها، 2023، ص1783).

متخيَّل الديستوبيا في الخطاب الروائي العالمي

ظهر مصطلح الديستوبيا أو (أدب المدينة الفاسدة)، في الخطاب الروائي الغربي والعربي، مضادًا أو مفارقًا لمصطلح "يوتوبيا"؛ فمنذ منذ نشأة الفلسفة، حلم أفلاطون المسكون بتأسيس المدينة الفاضلة، التي توفر السعادة الأبدية، ولكن هذه المدينة الفاضلة لم تتحقق إلا في أحلام الشعراء ورؤى الفلاسفة، ووصفت هذه الأحلام وتلك الرؤى بأنها تتطلَّع إلى عالم لا يمكن تحقيقه وهو عالم "اليوتوبيا". ويقابل هذا المصطلح مصطلح آخر هو مصطلح "الديستوبيا" التي تعد النقيض لما يعرف بـ "اليوتوبيا".

وبعد أقل من ثلاثة عقود ظهرت رواية "عالم جديد شجاع" (Brave New World) للكاتب البريطاني ألدوس ليونارد هكسلي Aldous Huxley التي نُشرت بالإنجليزية عام 1932، قد أسست بوضوح لـ"أدب الديستوبيا" وتنبأت بعالم غريب يتمادى فيه الباحثون في توظيف هندسة الجينات والاستنساخ بغية السيطرة على الأفراد، عبر التحكم في طبيعة الولادات وفق تصميم مراد له أن يسفر عن خمس فئات اجتماعية "النخبة، التنفيذيون، الموظفون، وفئتان يتولى أفرادهما القيام بالأعمال الشاقة"، وهي فئات يتم توصيفها بالأبجدية اليونانية "ألفا، بيتا، غاما، دلتا وإبسلون". وقد وصفت هذه الرواية بأنها تحفة فنية، وعُدَّت من أعظم مائة رواية عالمية. (https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8).

وقد أثبتت روايات الديستوبيا وجودها في الأدب الغربي معبِّرة عن حياة الغربيين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في ظل حربي عالميتين أزهقت أرواح الملايين من البشر، وقد باتت اليوم

(1) (ابن صفي هو أسرار أحمد ولد في 26 من شهر يوليو 1928، ولد في إله أباد بالهند (1928-1980) وهاجر إلى كراتشي أثناء تقسيم شبه القارة الهندية. انظر: منى حندقها أحمد محمود، الديستوبيا في رواية"وبائي بيجان" إثارة المرض للأديب ابن صفي دراسة موضوعية، مجلة قطاع الدراسات الإنسانية، العدد الثاني والثلاثون، ديسمبر 2023، ص1783).

من كلاسيكيات الأدب الغربي، ويحسن أن نقدم بسطة نظرية حول عدد من تلك الروايات الغربية التي أسست وأصلت للرواية الغربية. كما جسدت الروايات التأسيسية الغربية لمن أتينا على أسمائهم وأسماء رواياتهم هذا النوع الأدبي حين رسمت حياة سكان مدن يعيش بعضهم تحت وقع الاستبداد والقهر والمحاسبة، مسلوبين من أبسط ما تمنحه الحياة من حرية، مطوقين بكاميرات مراقبة وضعها النظام لترصد بدقة جميع تحركاتهم، مستهدفة بالمراقبة والمحاسبة أفكارهم أيضًا.

وعند استعراض أسماء الروايات الديستوبية الغربية نجد عدداً كبيراً، منها روايتا جورج أورويل"1984" و"مزرعة الحيوان"، ورواية مارغريت آتوود "حكاية الجارية"، ورواية هربرد جورج ويلز"آلة الزمن"، وروايتا كافكا "المحاكمة" و"التحول"، ورواية راي برادبوري "فهرنهايت 451"، ورواية كيم ستانلي روبنسون "بعد أن غرقت فينيسيا"،ورواية بونوا ديتيرتر"الصبية والسيجارة"، ورواية ألبير كامو "الطاعون"، وسواها من الروايات التي شكلت مع مثيلاتها تراثاً لرواية ديستوبية غربية.

وقد عبَّرت الرواية الديستوبية الغربية عن هموم الغربيين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية؛ إذ وجدنا بعضها ينقد الهيمنة الرأسمالية، وبعضها الآخر ينقد المؤسسة السياسية الاشتراكية كما في رواية "نحن" للروسي يفغيبيني زامياتين، وجاء بعضها مرثية للعالم الذي تهيمن عليه قوى سياسية تتوسل بالتقنية في إنجاب البشر وصياغتهم عبر برامج في مراكز هندسية متخصصة. (انظر: أبو طالب، http://ibraheemabotalib.blogspot.com/2024/12/1)

وإذا كانت الرواية الديستوبية الغربية قد عبرت عن هموم الغربيين، وظروفهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والنفسية، وشقت طريقها إلى الأدب العالمي، ورسَّخت هذا النوع من السرد غير المتفائل، فهل نجح الروائيون العرب في التعبير عن واقعهم المُحبَط، وقراءة مستقبلهم المظلم؟ أم ظلوا يدورون في فلك ديستوبيا الرواية الغربية؟

رواية الديستوبيا العربية

(1)

لعل مما يلحظه الدارس على روايات الديستوبيا العربية أنها انطلقت من قلق كتَّابها على مصائر بلادهم، وما تعانيه من إشكالية النظم الاجتماعية والسياسية، وليس من محاكاة الديستوبيا الغربية، وأن أكثر ما يتجلَّى فيها هو تراجع قيمة الإنسانية، إذ أصبح الإنسان هدفاً للقهر والاستلاب والقمع السياسي، أو بسبب تحوله إلى فأر تجارب يجري عليه أصحاب السلطة والنفوذ تجاربهم

العلمية. (انظر: لالاند، 2001، ص:361).

وحين يستعرض الباحث نشأة الرواية الديستوبية العربية يجد أنها برزت في منتصف السبعينيات نظراً لتعقد الحياة الإنسانية في المجتمعات العربية، واختلال الموازين الاجتماعية، واكتشاف الكتاب أن المجتمع المثالي الذي تغيَّاه الفلاسفة ليس موجوداً، بل لا يمكن له أن يوجد وبخاصة في ظل ظروف سياسية واجتماعية فاسدة. ومن ثم فالرواية الديستوبية تنطلق من رؤية متشائمة لعالم مستقبلي يكرِّس الطبقية، فيزداد البون بين الفقراء والأغنياء.

ويمكن اعتبار هذا النوع من الروايات روايات ما بعد حداثية، ويقصد هنا في الرواية المابعد حداثية أنها "تمثل الواقع وتعرضه وتبذل جهداً لتحسين الواقع المعيش ويكون لهذا الجهد الروائي نتائج وتأثيرات طيبة للغاية على صعيد الجمال، أو الحقيقة، أو الاتساق، أو المنظورات الروائية". (انظر: مارتز، 22016، ص 290).

وتكشف الرواية الديستوبية العربية عن العوامل المعيقة لتحقيق أي تقدم اجتماعي أو اقتصادي لأسباب سياسية في الأساس، أملًا في تقديم رؤية تطمح لتغيير الواقع المعيش المظلم. وهي رؤية تصور جوانب سلبية في المجتمعات العربية، من زاوية واحدة يسلط فيها الكاتب الضوء على الفساد، والظلم، والفقر، وسوء الأخلاق، وهي تمثل الرؤية العامة التي يعمل كتاب الرواية الديستوبية على إبرازها، محاولين الإشارة بالرمز تارة، والتعبير بالنقيض تارة أخرى، ولعلَّ من أبرز تلك الروايات المؤسسة للرواية الديستوبية العربية:

1- رواية "سكان العالم الثاني" لنهاد شريف، 1977. وهي قصة مجموعة من العلماء الشباب قاموا ببناء مدينة طوباوية في قاع البحر فراراً من حياتهم الصعبة، على الأرض.
2- ومن أمثلة تلك الروايات العربية التي تجسد علاقة الإنسان بالمدينة، ويمكن نسبتها للرواية الديستوبية، روايتا: "مدينة الموتى"، 1978، و"اللجنة" 1981، للروائي المصري صنع الله إبراهيم.
3- رواية "هروب إلى الفضاء" لحسين قدري، 1981. وتحكي قصة ثلاثة من سكان كوكب الأرض الذين يسقطون بمركبتهم الفضائية على كوكب مثالي.
4- ومن الراوايات العربية المحسوبة على الديستوبيا: عالم بلا خرائط لعبد الرحمن منيف وجبرا إبراهيم جبرا، 1982.
5- رواية "السيد من حقل السبانخ" لصبري موسى، 1984.وتدور أحداثها على الأرض في القرن

الثالث والعشرين.

6- رواية "الإسكندرية 2050" للروائي الأردني صبحي فحماوي، 2009، وفكرتها استشرافية، أفاد فيها من حركية الديستوبيا المعاصرة التي ضربت العالم العربي وهزته من أقصاه إلى أقصاه، بدءًا من الهزائم المتتالية للعرب أمام الكيان الصهيوني، مرورا بثورات الربيع العربي ووصولًا إلى ما نحن عليه اليوم.

7- رواية "إيبولا 76"، و"طيور أيلول" لربيع جابر، 2013.

8- رواية "فرانكشتاين في بغداد" لأحمد سعداوي، 2013، وترجمت إلى الإنجليزية 2018، ترجها جوناثان رايت.

9- رواية "عُطارِد" للكاتب المصري محمد ربيع على رأس القائمة، الصادرة عام 2014، وهي رواية تصور مستقبلاً قاتماً يشهده العالم العربي في العام 2025.

10- رواية "روائي المدينة الأول" للروائي المصري عمر حاذق الصادرة عن دار الكتب خان، 2014؛ إذ قدم تصوراً ديستوبيا لما بعد الموت.

11- رواية "الانحناء على جثة ميت"، 2014؛ وفيها يطرح الروائي الأردني أحمد الزعتري تصورًا كابوسياً لمستقبل مدينة عمان، وقد منعتها الرقابة بدعوى إساءتها للمجتمع.

12- رواية 2084 ... حكاية العربي الأخير" للروائي الجزائري واسيني الأعرج، 2016، وقد استلهمها من رواية جورج أورويل مقدمًا تصوراً مخيفًا عن العالم العربي بعد 50 عاماً.

13- رواية "حرب الكلب الثانية" للروائي الفلسطيني إبراهيم نصر الله، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2016. وهي تجسد حرب الولايات المتحدة على العراق، وقد وصفت الرواية بأنها رواية فانتازية، ترسم خارطة مظلمة لعالم مستقبلي متوحش.

14- رواية "في البدء كانت الكلمة" للروائية أمل بو شارب، الجزائر، منشورات الشهاب،2021.

15- (انظر: بوخالفة، 2024، صص173-190).

(2)

لقد اضطلعت الروايات الديستوبية العربية بمسؤولياتها في عدة أمور سياسية واجتماعية واقتصادية ومنها توعية الجماهير بما يحدث في السياسة، ونقد الطبقية، والتثوير على الحكام المستبدين، من خلال قراءتها للحاضر، وتطلعها إلى المستقبل، وتنبيهها على الظلم والفساد الذي

ينخر مؤسساتنا الاجتماعية والاقتصادية؛ وهذا بعض مما أبرزته الروايات الديستوبية للروائي المصري أحمد خالد توفيق: (1962–2018) الذي نخصه ببعض التفصيل، لأنه يعد من أبرز الروائين المصريين والعرب الذي يعد صاحب مشروع في السرد الديستوبي. فقد أصدر عددًا من السلاسل الروائية، مثل: سلسلة ما وراء الطبيعة، وسلسلة فانتازيا، وسلسلة سافاري، وقد أحصيت له أكثر من ستين عملًا بين روايات وسلاسل أدبية[1].

كما أصدر عديد الروايات ومنها أربع روايات تقع تحت باب الديستوبيا وهي: رواية "يوتوبيا" ورواية "في ممر الفئران"، ورواية "السِّنجة"، ورواية شآبيب، وتكشف هذه الروايات الأربع عن سوداوية تغوص من خلالها شخصيات البناء الحكائي في أعماق مخاوف لا حصر لها من مستقبل قاتم، يتأسس في الأصل على واقع مرير يحيطه الإحباط في غياب التفاؤل، والسقوط في الهاوية. وتنبئ الروايات الأربع عن عالم مليء بالفساد والفوضى، كما تكشف عن وجه آخر من وجوه التخييل الأدبي؛ إذ تتنبأ بمآسي مدينة منهارة، يحكمها الاستبداد والظلم والفوضى والتدهور التام للقيم، وصولا إلى العدمية وانتفاء إنسانية الإنسان.

فرواية "يوتوبيا" على سبيل المثال وهي أولى رواياته الديستوبية أصدرها (2008) تدور أحداثها في مصر عام (2023)؛ إذ يتوقع أن مصر ستتحول إلى طبقتين: الأولى فاحشة الغنى والثراء وتمتلك كل وسائل الرفاهية، وتعيش داخل سور يحرسها المارينز الأمريكان وهي (يوتوبيا) التي تقع في الساحل الشمالي، والثانية طبقة فقيرة فقراً مدقعاً وتعيش في عشوائيات، وهؤلاء هم الأغيار. يقوم أحد شباب يوتوبيا الذي جرَّب كل المتع واللذائذ باصطياد شاب من الأغيار من سكان شوبرا على سبيل التسلية والتجريب والتمتع واللعب به تحصيلاً للمتعة ثم يقوم بقتله والاحتفاظ بجزء من جسده على سبيل التفاخر. وهكذا تجسد الرواية الصراع بين من يملكون كل شيء ومن لا يملكون شيئاً، متوقعًا مستقبلًا مظلِّما لمصر بسبب وجود طبقتين: طبقة الأغنياء غنى فاحشاً، وطبقة الفقراء المُعْدمين.

(1) منها على سبيل المثال: أفلام الحافظة الزرقاء، والآن نفتح الصندوق، والحافة، ودعني أخبرك بشيء، ورفقاء الليل، وزغازيغ، وسر الغرفة 207، وشاي بالنعناع، وضحكات كئيبة، وعقل بلا جسد، وقصاصات قابلة للحرق، وقهوة باليورانيوم، وقوس قزح، ولا مكان للمال، ولست وحدك، وسواها مما يدل على غزارة إنتاجه الأدبي والإبداعي.

أما روايته الثانية "السنجة" (2012)، فتتجسد بين الواقعي والمُتَخيَّل، وترصدُ المناخ الديستوبيَّ في منطقة من المناطق العشوائية، وهيمنة فئة من الخارجين عن القانون وتجار المخدرات على هذا المكان. ومن المظاهر الديستوبية فيها الفساد الأخلاقي، وموت الموت، والبعد عن الدين، والعنف، والفساد، والفساد الصحي، والقمع، والفوضى.

وتطرح رواية "في ممر الفئران" (2016)، تساؤلاتٍ فلسفيةً ودينيةً عميقةً حول قدرة الإنسان على التغيير في عالم يسكنه الظلم والرعب، وتجسد عالمي الظلام والنور؛ إذ تدور حول شخصية "الشرقاوي"، الذي يدخل في غيبوبة لم يعرف الأطباء لها سبباً، وفي أثناء إقامته في المستشفى ينتقل بشكل غريب إلى عالم الظلام، ليجد نفسه في مواجهة جماعة من الظلمة والجبابرة الذين لا يمنحونه أي أمل، ثم يدخل مع مجموعة من الشباب المتمردين في عالم الظلام الذين يطلقون على أنفسهم جماعة "النورانيين"؛ إذ طالبوا بالضوء كحق مكتسب فيصير مطاردًا من الشرطة، مسقطًا كل هذه الأحداث السوداوية على العالم العربي، مصداقًا للمثل الشعبي الشهير (إن غاب القط العب يا فار)؛ فالسلطة باتت للفئران بسبب غياب القطط؛ فالرواية تطرح أسئلة أخلاقية معقدة فضلًا عن كونها نقدًا لاذعًا للمجتمع.

وفي روايته "شآبيب" (2018)، ينسج أحمد خالد توفيق خيوطها حول العرب الذين تشظُّوا في أنحاء العالم (أو تفرَّقوا أيدي سبأ) بعد أن ضاقت بهم أوطانهم، ويحلم فيها بدولة واحدة يجتمع فيها العرب بعدما تشتتوا في العالم، ليعيشوا في مكان أسماه "شآبيب" لا يضطهدهم فيه أحد، ولا يخيفهم أحد لتكون لهم دولة قوية تمزج بين ما تعلَّموه في كل الحضارات، وكأن هذه الشآبيب هي "أرض ميعاد العرب"، بعد أن اضطُهدوا واحتاجوا إلى وطن يسكنون فيه.

وفي مثل هكذا روايات، لا يملك صانع السرد إزاء كل ذلك إلا أن يرسل صرخاتِ تذمُّرٍ واستغاثة من حاضر يتصف بالقسوة، ويطرق أجراس الإنذار من قادم كارثي أكثر إيلامًا ورعبًا وسوداوية، ويجسد مستقبلًا مظلمًا.

الخاتمة

يلحظ الباحث، فيما يلحظ،

أولًا: إن الرواية الديستوبية تمثِّل نوعًا روائيًا جديدًا له خصائصه التي يغلب عليها التخييل، ولا تشكِّل جنسًا أدبيًا ذا هويَّة أجناسية جديدة.

ثانيًا: إن ظهور هذا النوع، وليس الجنس، من الأدب الديستوبي واستقرار مفهومه، ووضوح رؤية

مبدعيه، يعود في جزء كبير منه إلى ذلك التفاوت الطبقي في المجتمعات العربية، وما جرَّه من تدهور قيمي، وتراجع أخلاقي، وفساد في العلاقات الإنسانية، وتحذيره من مستقبل مظلم يتناقض مع فلسفة المدينة الفاضلة التي سعى إليها الفلاسفة ورجال الدين على مر التاريخ.

ثالثًا: إن ازدياد شعبية هذا النوع من السرد الديستوبي يعود لأسباب اجتماعية وسياسية واقتصادية، فضلًا عن الأسباب الفنية والجمالية التي تستند إلى فنيات التخييل، تغري بتتبع ما يجسده الروائيون من تعرية للواقع السلبي وكشف خطورته على الأجيال القادمة، وذلك في ضوء ازدياد الفساد والأنظمة الفاسدة.

رابعًا: تقع أحداث الرواية الديستوبية العربية في المستقبل، بما تحمله من نقد للواقع السياسي والاجتماعي، ولكنها تستقرئ الواقع، وتستشف منه الرؤى للمستقبل مما جعلها تشكِّل حافزًا لمقروئيات متعددة، وجاذبة لجيل الشباب أو اليافعين، الذين باتوا يحسون الفوارق الطبقية وغياب الحريات، ويجدون ملاذًا في دعوتها للإصلاح والعدالة الاجتماعية.

مصادرُ البحثِ ومراجعُهُ

1- المصادر:

- توفيق، أحمد خالد، **يوتوبيا**، دار ميريت للنشر، القاهرة (الطبعةالأولى)، 2008.
- توفيق، أحمد خالد، **السِّنجة**، دار بلومزبري، مؤسسة قطر للنشر،2012.
- توفيق، أحمد خالد، **في ممر الفئران**، الكرمة للنشر، مصر، 2016.
- توفيق، أحمد خالد، **شآبيب**، دار الشروق، القاهرة، 2018.

2- المراجع:

- إبراهيم، عبد الله، **موسوعة السرد العربي**، (ط1)، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، 2005.
- أبو السعود، عطيات، **الأمل واليوتوبيا في فلسفة إرنست بلوخ**، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1977.
- أبو طالب، إبراهيم، **متخيَّل الديستوبيا في مشروع الحسامي النقدي**، ج1؛ http://ibraheemabotalib.blogspot.com/2024/12/1

- أحمد، إنجي خالد، "**اليوتوبيا والديستوبيا في رواية أحمد خالد توفيق**، العربي للنشر والتوزيع، 2023.
- برجكاني، فاطمة، **الديستوبيا (المدينة الفاسدة) في الرواية العربية المعاصرة، قراءة في رواية "أورويل في الضاحية الجنوبية" لفوزي ذبيان**، إضاءات نقدية، السنة الثامنة: ع29آذار 2018.
- برنس، جيرالد، **المصطلح السّردي**، (ط1). القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2003.
- برنيري، ماريا لويزا، **المدينة الفاضلة عبر التاريخ**، ترجمة عطيات أبو السعود، مراجعة عبد الغفار مكَّاوي، دولة الكويت، سلسلة عالم المعرفة، عدد (225)، 1999.
- بن الشيخ، أحلان، **مشهديات الديستوبيا في رواية "جمالكية أرابيا"**، مجلة دراسات أدبية، العدد السادس، يونيو 2018.
- بوخالفة، إبراهيم، **الديستوبيا في الرواية العربية المعاصرة قراءة "في البدء كانت الكلمة" لأمل بو شارب**، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، المجلد الثامن، العدد الأول، 2024.
- جاكوبي، راسل، **نهاية اليوتوبيا**، السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة، ترجمة فاروق عبد القادر، دولة الكويت، عالم المعرفة، 2001.
- جبور عبد النور، عبد النور، **المعجم الأدبي**، بيروت، (ط2) دار العلم للملايين، 1984.
- جينيت، جيرار، **جامع النص**، ترجمة عبد الرحمن أيوب، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1985.
- الحسامي، عبد الحميد، **متخيَّل الديستوبيا في الخطاب الروائي**، عمان، دار كنوز، 2023.
- خيرة، فتحي، ومصطفى، مسيردي، العجائبية والبعد الديستوبي في الرواية الجزائرية المعاصرة، الجزائر، مجلة النص، مج10، ع1، 2023.
- الرويلي، ميجان، **دليل النّاقد الأدبي** (ط3). المغرب، المركز الثقافي العربي، 2000.
- الزبيدي، محمد المرتضى، تاج العروس، تحقيق مصطفى جواد، بيروت دار الفكر، 1944، وطبعة ثانية بيروت، دار إحياء التراث، 1984.
- زيادة، معن، وآخرون، الموسوعة الفلسفية العربية، بيروت، معهد الإنماء العربي، مكتبة مؤمن قريش، 1986.
- زيتوني، لطيف، **معجم مصطلحات نقد الرواية**، (ط1). لبنان، مكتبة لبنان ناشرون وموزّعون، 2002.

- زيدان، محمد، **البنية السّردية في النص الشعري**، (ط1)، القاهرة، الهيئة العامّة لقصور الثّقافة، 2004.
- الزيدي، صدام، روايات ديستوبية، مُتَخَيَّلٌ سوداويٌّ ومحاكمةٌ ضمنيةٌ للفعل الروائي السائد، مجلة نزوى: مجلة ثقافية فصلية تصدر عن وزارة الإعلام، العدد 118، أبريل 2025).
- سارجنت، إيمان تاور، **اليوتوبيا**، ترجمة ضياء ورار، القاهرة، هنداوي للتعليم والثقافة، 2016.
- سعيد يقطين، سعيد، السرد العربي مفاهيم وتجليات، الجزائر، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2012.
- سينتيا، فلوري، **نهاية الشجاعة**، ترجمة عبد النبي كوَّارة، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017.
- الشاروني، يوسف، **اللامعقول في الأدب المعاصر**، القاهرة، دار الكتاب العربي، 1969.
- شنقار، سماء إبراهيم، **الرواية الديستوبية المصرية مظاهرها ولغتها**، دمنهور، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية العدد الخامس، الجزء الثالث، 2020.
- الضبع، محمود، **المتخيل السردي وأسئلة ما بعد الحداثة**، مقالة علمية منشورة على موقع: (Sadazakera.word press.com,12/7/2024).
- عبابنة، يحيى، **الرواية الديستوبية أدب المدينة الفاسدة والواقع المرير**، عمَّان، أمواج للنشر والتوزيع، 2023.
- العُجَيْلي، شهلا، **رواية الديستوبيا العربية السياق الثقافي والملامح الفنية**، عمَّان، منشورات مجاز، 2024.
- عليان، حسن، **كتاب تقنيات السرد وبنية الفكر العربي في الرواية العربية**، عمَّان، دار الآن ناشرون وموزعون، 2017.
- فؤاد، أماني، **سرديات الحروب والنزاعات تحولات الرؤية والتقنية**، الدار المصرية اللبنانية، 2024.
- فوكو، ميشيل، **إرادة المعرفة**، ترجمة مطاع الصفدي وجورج أبي صالح، (ط1) بيروت، 1990.
- قطُّوس، بسام، **السقوط في التشيؤ الشعر في قبضة التشيؤ**، عمَّان، دار فضاءات، 2021.
- قطُّوس، بسام، **الفلسفة والشعر أية علاقة؟** سلسلة الفلسفة للشباب، (كتاب محكَّم)، عمَّان، نشر

وزارة الثقافة، 2022.

- لالاند، **موسوعة لالاند الفلسفية**، ترجمة خليل أحمد خليل، ج2، ط2، بيروت، عويدات، 2001
- لحمداني، حميد، **بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي**، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2008.
- مارتز، جيسي، تطور الرواية الحديثة، ترجمة لطيفة الدليمي، بغداد، دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2016.
- محمود، منى حندقها أحمد، **الديستوبيا في رواية"وبائي بيجان" إثارة المرض للأديب ابن صفي دراسة موضوعية**، مجلة قطاع الدراسات الإنسانية، العدد الثاني والثلاثون، ديسمبر 2023.
- المساعفة، مجدولين، **الديستوبيا في الرواية العربية المعاصرة (المدينة الفاسدة) قراءة في رواية "في ممر الفئران"**، مجلة جرش للبحوث والدراسات، مجلد23، العدد 2، 2022.
- شرشار، عبد القادر، **تحليل الخطاب وقضايا النص**، وهران الجزائر، دار المقدس العربي، 2009.
- المرزوقي، سمير وشاكر، جميل، **مدخل إلى نظرية القصة**، تونس، الدار التونسية للنشر، (د.ت).
- ابن منظور، م. **لسان العرب**، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
- هناوي، نادية، **الرواية من تمثيل الواقع إلى تمثيل نفسها**: بروست وجويس وكافكا وولف يعودون إلى اللاواقع منبع السرد وأصله، https://www.alarab.co.uk/%D8%).
- وهبة، مجدي، **معجم المصطلحات العربيّة**، (ط1). بيروت، مكتبة لبنان، 1979.